الفصل السابع

الأعياد — المآتم — الأمراض المتوطنة .

(١) الأعياد :

إذا ما ولى الشتاء ببرده وجدبه . وجاء الصيف بخضرته وزهره ، وروائحه العطرة ، وأخذ يهب الحياة بهجة وجمالا . وطفقت الغابات تصحو من سبات الشتاء ، وتتجاوب الأصداء المفرحة فى أرجائها ، وتمتزج أصوات قطانها المختلفة ، فينشأ عنها لحن موسيقى عذب ، لأنه من وحى الطبيعة وتلحينها ، وشرعت الأمطار تهطل فتغمر مياهها الحقول والطرقات ، وينصرف معظمها إلى الأنهار فيزيد ماؤها ، ويعلو ، فتجرى مسرعة نحو مستقرها ، ويشرع الأهلون ينفضون عن أنفسهم خمول الشتاء وكسله — إذا حدثت هذه الأحداث كلها بدأت أفراح الحبشان وأعيادهم . وأولها عيد مريم العذراء .

وفى يوم هذا العيد ، يصحو الناس فى السحر ، ويلبسون أحسن لباسهم ، ويخرجون قبل مطلع الفجر ، قاصدين إلى الكنائس ليصلوا أمام تمثال العذراء ، وليستمعوا إلى قصتها الشريفة . وإذا ما قضيت الصلاة من هذا اليوم ، ينتشرون فى الحقول ، ويرقصون رقصات دينية ، وصفها بعض الرحالين قال : فى يوم عيد العذراء ينسل الحبشان رجالا ونساء إلى الخلاء زرافات ، ووحداناً . وتقف كل جماعة على السندس الأخضر على محيط دائرة كبيرة . ثم يرقصون على نغمات أغان خاصة ، تشيد بذكر العذراء ، وهى أشبه بما يتغنى به فى حلقات الذكر المعروفة فى مصر . وسرعان ما تثير هذه الأغاني الدينية حماس الراقصين فيخرج فتى أو فتاة من الحلقة ، ويذهب إلى وسط الدائرة ، ثم يقف هادئاً يحملق فى الراقصين بضع ثوان ، لا يلبث بعدها أن يدركه الحماس ، وتنهض الحمية فى أعصابه ، فيهيج ويهتز جسمه كاهتزاز

القناة فى يد فارس مغوار . ولا يزال كذلك حتى يعتريه التعب ، فيخر فى مكانه . وبعد أن يستريح قليلا يذهب إلى مكانه ، ويحل محله فتى أو فتاة .. .. وهكذا إلى أن تنتهى « الرقصة » .

ويلى عيد العذراء عيد يحيى عليه السلام ، ويبدأ فى العاشر من شهر سبتمبر ، وفيه يغتسل الحبشان فى الأنهار والبرك والبحيرات ، ويتحلون بالأزهار ويتهادون بطاقات الزهر .

(ب) المآتم :

إذا مات حبشى صات أهله وأعولوا ، وجاءهم القسيسون مبادرين للتعزية . وجاءهم الشماسون لترتيل بعض ما تيسر من المزامير ، وجاء حملة المباخر لتبخير البيت ؛ وبعد أن يغسل الميت ، ويكفن ، يوضع على الأُلجا أى النعش ويحمل على الأكتاف إلى المقبرة .

وحين يهم الحاملون (حملة النعش) بالسير به ، تعلو أصوات أهل الميت ، كما يفعل فى مصر ، وينتحبون انتحاباً مراً ، ويمزق بعضهم ثيابهم ، ويخمش البعض وجوههم ويلطمون خدودهم ، وينتفون شعورهم . ومنهم من يغلب عقولهم التأثر فيغرسون أظافرهم فى أعناقهم فتسيل منها الدماء . ومنهم من يتشبث بالنعش كأنما يبغى أن يحول بين الميت الحبيب وبين مستقره الأخير . والذى يملأ النفس أسىً ، والقلب حسرة منظر الأم الثكلى أو الأخت المكلومة الفؤاد وهى تجرى كالمجنونة ، حاملة بعض تراث الفقيد تعرضها على أقاربه وأصدقائه الأدنين ليذكروه بها .

ويتقدم القسيسون الجنازة . وقبل أن يوارى الميت فى التراب يسمح للأقارب والأصدقاء بإلقاء نظرة أخيرة على وجهه .

ويستمر النواح والبكاء على الميت مدة سبعة أيام لا يوقد أهله فى أثنائها ناراً ، ولا يطهون طعاماً ، وتحمل إليهم الأقارب والأصهار ما يحتاجون إليه من طعام .

ويصبغ أهل الميت أثوابهم البيض بلون أحمر أو أصفر أو أخضر أو أزرق[١] .

ويجلسون لتلقى العزاء على الأرض مهما جلت أقدارهم[٢] .

ولقد رأى أحد المبعوثين المصريين الإمبراطور هيلاسلاسى نفسه جالساً على الأرض فى مأتم خاله الذى ركب طيارة للنزهة لأول مرة ، ولما علت به ، اعتراه خوف شديد ، ورعب عظيم ، أفقده قواه العقلية فرمى نفسه منها ، فدقت عنقه ، فمات لساعته .

(ج) الأمراض المتوطنة فى الحبشة :

الحبشان فى الجملة مفتولو العضلات ، أقوياء البنية . ولتعودهم البساطة فى الملبس والمأكل ، وتعرضهم للأجواء المختلفة أصبحت أجسامهم كالحديد ، أو أشد متانة ومرونة لاتؤودها الصعاب . وأصبحت ذات مناعة من كثير من الأمراض التى تصيب عادة المترفين من أبناء الأمم الأخرى .

وأكثر الأمراض شيوعاً فى الحبشة هى الدوسنطاريا والحمى وربما كان ذلك من البلل الذى يصيب الناس أو الأرض فى أثناء فصل الأمطار . ومما يخلفه من أوحال ومستنقعات. أما الأمراض السرية التى تسرع بالآلاف إلى مثواهم الأخير قبل الأوان، فلا تعد من الأمراض المتوطنة التى يسببها ما تنبت الأرض أو ما يحمل الجو . لأنها إما موروثة من آباء عياهير ، أو نتيجة لحياة طليقة .

والمرض الذى يمكن عده وطنياً هو التينيا ، وهو المرض الذى تسببه الدودة الوحيدة (Tape - Worm) وهو شائع بين الوطنيين[٣] . ولقد حبتهم الطبيعة بنبات يعرف بالكوسو (Kouso) يستعملونه دواء ناجعاً لهذا المرض الوبيل .

---

(١) لايعد الحبشان اللون الأسود لون الحداد .

(٢) يقيم الحبشان لذكرى أمواتهم ولائم مأتمية يقدمون فيها الخمر بكثرة فى الأيام الثلاثة الأول بعد يوم الدفن ثم فى اليوم السابع والرابع عشر وكل أسبوع إلى الأربعين ثم تمام السنة والسنة السابعة الأستاذ مراد كامل.

(٣) يرى بعض الناس أن سبب هذا المرض أكل اللحم النيء ، ولكن بعض الباحثين يردون على هذا الرأى بالحقيقة الثابتة وهى أن هذا المرض يصيب بعض الحيوانات الحبشية آكلة العشب .